

شرح تعريف مصطلح "الدلالة" عند العرب

Explaining The Definition Of The Term "Significance" Among Arabs

تاريخ القبول: 2018-01-18

تاريخ الإرسال: 2018-01-17

الدكتور: مختار درقاوي

derkaoui79@live.fr

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - الجزائر

- الملخص:

يسعى هذا المقال العلمي إلى كشف النقاب عن دلالة المصطلح في الثقافة اللسانية العربية القديمة بشرح تعريف القدماء لمصطلح الدلالة، وبالوقوف أيضا عند التّخوم التي تفصل بين هذا المصطلح وما يقاربه من مصطلحات يجمع بينها رابط الحقل الدلالي الواحد كالعلامة والأمانة والمعنى، واهتدى الباحث إلى أن اللغوي العربي قد تمكن باقتدار من سبر المصطلحات ومن الإبانة عن ما تحمله من حمولة دلالية تُجَلِّي لنا وعي العقل العربي عند تعامله مع مختلف القضايا المعرفية.

- الكلمات المفتاحية: الدلالة - الحجة - المعنى

-Abstract:

This scientific article seeks to explain the meaning of meaning in ancient Arabs, also based on the differences between this term and the surrounding terminology combined with the semantic field link. The researcher concluded that the Arab linguist was able to correctly understand the meanings of the term.

Keywords: meaning - argument - meaning

- تمهيد:

ورث المحدثون عن الحضارة العربية الإسلامية قولاً أبان بصورة جلية وبصدق عن طبيعة بنية العقل العربي عند تعاطيه مع المعرفة وتعامله معها؛ مفاده "كلام السلف قليل كثير الفائدة، وكلام الخلف كثير قليل الفائدة"¹، هذا القول وإن سيق للتدليل على سياق تاريخي محدّد له صلة برجالات الشريعة في مهد الحضارة الإسلامية إلا أنّه يحسّن أن يكون وصفاً للبناء الفكري للإنسان العربي عند تأصيله للمعرفة، بأنّه عقل ينزع نحو التأصيل والاقتضاب الواعي غير المخل.

هذا الذي ترسخ وتقرّر نستشعر شيئاً منه ونتلمّس أثره من خلال بسط نظر ومزيد تأمل في تعريف أهل الميزان والأصول والعربية لمصطلح "الدلالة". مع أنّهم اكتفوا في تعريفهم للمصطلح ببعض العبارات المختصرات، إذ قالوا: الدلالة بالفتح هي أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر... الشيء الأوّل يسمّى دالا والشيء الآخر يسمّى مدلولاً²، فمع اقتصارهم على هذه الجمل القليلات في تعريف الدلالة وبيان أركانها، لكنّ شرحها قد يطول، بل يطول يقينا حتى ليكاد يستغرق الشرح مؤلفاً قائماً بذاته، ليس هذا موضعه، وقد بما قيل "ما لا يدرك كلّ لا

يترك جُلّه"، لذلك آثرنا أن يكون الحديث في هذا المقام عن ثلاثة مصطلحات مهمة هي عماد مقولة الدلالة عند العرب، وفي الآن نفسه هي أركانها، يتعلّق الأمر ب: الدّال، واللزوم، والمدلول.

الدلالة = الدّال + اللزوم + المدلول

- **الدّال**: تعدّ مقولة الجاحظ عند العرب أهمّ مقولة عنيت بذكر صور الدّال، وقد حصره في خمسة أشياء: أولها اللفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقّد، ثمّ الخطّ، ثمّ الحال التي تسمّى نصبة، والنّصبة هي الحال الدّالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصّر عن تلك الدلالات. أمّا الدلالة باللفظ فلغات الشعوب بها، أمّا الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمُنكَب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف. وقد يهدّد رافع السيف والسّوط، فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا. والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العونُ هي له، ونعم الترجمان هي عنه.

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة:³

أشارت بطرفِ العينِ خيفةً أهلها إشارةً مدعُورٍ ولم تتكلم
فأيقنْتُ أنّ الطَّرْفَ قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيبِ المتيّم

وقال الآخر:

العينُ تُبدي الذي في نفسِ صاحبها من المحبّةِ أو بُغضٍ إذا كانا
والعينُ تنطقُ والأفواه صامتةٌ حتّى ترى من ضمير القلب تبيّنا

أمّا الدلالة بالقلم فنّبه إليها القرآن الكريم (الذي علّم بالقلم) (ن والقلم وما يسطرون)، وأمّا العقد فهو الحساب دون اللفظ والخط، ويشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة. وأمّا النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ - شاهد الحال يغني عن شاهد المقال - والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهرٌ في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، ولذلك قال الأول: "سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ: مَنْ شَقَّ أَهْوَكَ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ، وَجَنَى ثَمَارَكَ؟ فَإِنْ لَمْ تَجِبْكَ حِوَارًا، أَجَابَتْكَ عَتَبَارًا"⁴.

وفي الثقافة اللسانية الحديثة وسمّ بيرس مصطلح الدال بالمصوّرة **representamen**، وهي علامة نوظفها

لتحليل على شيء آخر⁵، فهي شيء محسوس حاضر يرشدنا إلى آخر غائب؛ ولكي تكون صادقة لا بد من أن:⁶

- تحل محلّ شيء آخر.

- تكون أداة للتمثيل.

- لا توجد إلّا من خلال تحيينها داخل موضوع ما.

- لا تستطيع الإحالة على موضوعها إلّا من خلال وجود مفسّر يمنح للعلامة صحتها (تجسد شروط التمثيل).

وبهذا يظهر أنّ المصوّرة لها الوظيفة نفسها التي يقوم به الدال في تصور سوسير، من حيث إنّها تمثيل لشيء ما غائب، فالمتوالية الصوتية (ش، ج، ر، ة) عبارة عن مصوّرة تحيل على مفسّرة (أومدلول) مدرك ذهننا. وعلاوة على

الوظيفة التي تؤديها المصوّرة داخل سيرورة الدلالة، فهي تتركز على أنساق وُسمت بمصطلحات أُستعيرت من المنطق التقليدي، وهي التصوّر **Rheme**، والتصديق **Dicent**، والحجة **Argument**.

يقول عادل فاخوري: «المصطلحات **Rheme** و **Dicent** و **Argument** هي كلمات مستعارة من المنطق التقليدي، ويقابلها عند العرب على التوالي: (اللفظة) المفردة، القول (النام)، والحجة»⁷، وسرّ ترجمة المصطلحين الأولين بالتصور والتصديق أنهما «ينطبقان أكثر على استعمال المصطلحين في مجال السيماء، ومن جهة أخرى يوازيان على مستوى المعنى؛ أي التعبير بلسان بيرس المفردة والقول إلى حدّ ما»⁸.

أولاً - التصوّر (Rheme): مصطلح موظّف في حقول معرفية مختلفة ويعرف اقتراباً في المعنى، فيطلق التصوّر في علم النفس و يراد به الصورة الحاصلة في الذهن⁹، ويطلق من قبل المناطق العرب ويقصد به إدراك أو حصول صورة المفرد في العقل¹⁰، أمّا عند الفلاسفة المحدثين فهو المعنى الكلي المجرد وقد ينعت بـ **concept**¹¹.

ثانياً- التصديق (Dicent): مصطلح مقرّر في الدرس المنطقي و السيمائي، يراد به حكم الذهن بين معنيين متصورين بأنّ أحدهما الآخر أو ليس الآخر، واعتقاد صدق ذلك الحكم أي مطابقة هذا المتصور في الذهن للوجود الخارجي عن الذهن¹²، بحكم أن التصديق عبارة عن حكم العقل بنسبة بين مفردين إيجاباً أو سلباً على وجه يكون مفيداً، كالحكم بحدوث العالم، ووجود الصانع، وربطه بالقول فيه إشعار بنائية الصدق والكذب.

ثالثاً- الحجة (Argument): عمل عقلي مؤلّف من يقينيات تكفل إنتاج ما هو يقيني¹³، والحجة المعتبرة تجعل كل معالجة على مستوى التعبير تحدث تغييرات على مستوى المضمون، والعلاقة التي تجمع بين ثنائية (التصور- التصديق) والحجة هي علاقة تضاييف¹⁴؛ إذ لا نتصور الحجة دون وجود التصور والتصديق كما أن وجود هذين الأخيرين لا يعني حصراً للمجال الإدراكي للحجة، فهذه الأخيرة تسعفنا في إدراك الدلالة التأويلية التي تحاول علامة ما البوح بها.

- اللزوم:

يعدّ مصطلح اللزوم من المصطلحات التي فطن إلى أهميتها علماء العربية وأهل المنطق، وقد ربطوه بثلاثة مفاهيم "القول" و"الانتقال" و"الطلب"، فاللزوم يفيد معنى الانتقال إذ نقول: "لزوم شيء من شيء" أي تولّد منه بنقلة مخصوصة، كما أنّه يُستعمل بصدد "الأقوال" فيقال: "لزم عن قوله كذا"، ويسمّى القول الذي لزم منه قول آخر بـ "الملزوم" ويسمّى هذا القول الآخر باللازم، ويفيد اللزوم كذلك معنى "الاقتضاء" الذي يتضمّن مدلول الطلب، فإذا لزم شيء من شيء فقد اقتضاه هذا الشيء وطلبه¹⁵.

وأردف طه عبد الرحمن أنّه: "لا فرق بين لفظ اللزوم ولفظ الاستدلال إلا من حيث إنّ الأوّل يدلّ بمضمونه على معنى الاقتضاء وهو أقوى من معنى "الطلب" الذي يدلّ عليه الثاني بصيغته، إذ كل اقتضاء طلب، وليس كل طلب اقتضاء، ومن حيث إنّ الثاني استعمل في معنى "حاصل الاستنتاج" بينما الأوّل لم يُستعمل في هذا المعنى، وإن استعمل فيه لفظ مشتق منه، وهو "اللازم"، فإذاً اللازم عبارة من الحاصل اللزومي"¹⁶.

واللزوم في الأقوال الطبيعية على ثلاثة ضروب:¹⁷

- **اللزوم اللفظي:** يبنى على مبادئ تحدد الوجوه التي ترتبط بها الألفاظ بعضها ببعض في معجم اللغة، وتُعرف هذه المبادئ باسم المسلمات الدلالية، وهي عبارة عن قضايا لزومية صريحة نحو: "كل إنسان حيوان" أو "كل أعمى غير بصير"، أو كقولك "أبيض" يحضر الضد (الأسود) في الذهن .

- **اللزوم الدلالي:** يستلزم القول ب استلزما دلاليا القول ج متى صدق مدلول ج في كل حالة يصدق فيها مدلول ب، ومثاله:

ب: أضحك زيد خالدا (بمعنى جعل شخصا يضحك)

ج: ضحك خالد.

لا يمكن أن يصدق القول (ب) من غير أن يصدق القول (ج)، ولا أدلّ على ذلك من أن الجمع بين (ب) وبين نقيض (ج) يلزم عنه التناقض كما في قولنا: أضحك زيد خالدا، ولم يضحك خالد. والقاعدة: لازم الصادق الدلالي صادق".

- **اللزوم التداولي أو التخاطبي:** اللزوم التداولي من أهم الاستلزمات التي تتعلق بالقول الطبيعي، ينشأ عن المقام الذي قيل فيه أو عن السياق الذي جيء به من أجله، والفرق بين اللزوم التداولي واللزوم الدلالي أنّ إلغاء اللزوم التداولي لا يترتب عليه أي تناقض، بخلاف الثاني أي اللزوم الدلالي الذي عند إلغائه يقع التناقض على ما يُؤنّ أنفا. ويتوسل اللزوم التداولي بجملة من قواعد التخاطب التي يتبعها قائله، كالسياق، والمضمرات، والإرادة، وغير ذلك. ومن أمثلته:

زيد: هل في الغنم زكاة؟

خالد: في الغنم السائمة زكاة.

فهم زيد الجواب الذي قدّمه خالد، وفهم أيضا عن طريق قواعد التخاطب اللازم التخاطبي الآتي:

ليس في الغنم المعلوفة زكاة.

تلقى خالد من زيد سؤالا هل في الغنم زكاة؟ فكنا ننتظر أن تكون إجابة خالد ب نعم أو لا؛ دون وضع قيد، لكنّ خالدا احتار أن يجيب: في الغنم السائمة زكاة. بوضع قيد "السائمة" وهي كلمة تطلق على كل إبل أو ماشية ترسل للرعي ولا تُعلف. فهم زيد هذا الجواب وعن طريق قواعد التخاطب فهم شيئا إضافيا يسمّى باللازم التخاطبي، وهو أنّه ليس في الغنم المعلوفة زكاة.

- **المدلول:**

يقصد بمدلول الكلمة معناها أو الصّورة الذهنية لما تدلّ عليه، أو لِمَا تحيل عليه وترجع إليه، وإن كانت "الصورة الحاصلة من حيث إنّها تقصد باللفظ تسمّى معنى، ومن حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمّى مفهوما، ومن

حيث إنها مقولة في جواب ما هو؟ تسمى ماهية ومن حيث ثبوئها في الخارج تسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هوية¹⁸. وقد توقف ابن فارس في تحديد المعنى عند اشتقاقه، وأشهر هذه الاشتقاقات ثلاثة:¹⁹

- 1- المعنى من «عنيت بالكلام كذا»؛ أي قصدت وعمدت، فتكون الدلالة الأولى للمعنى هي القصد.
- 2- وقد يكون المعنى من «عنت القربة إذا لم تحفظ الماء، بل أظهرته، وعنوان الكتاب من هذا» فالدلالة الثانية هي الإظهار.
- 3- المعنى من «عنت الأرض نبات حسن»، إذا أنبت نباتا حسنا (...)، ولم تعن هذه الأرض؛ أي لم تُفد، فتكون الدلالة الثالثة الإفادة.

وبعد ذلك خلص إلى القول: «فأما المعنى فهو القصد والمراد»²⁰، وقال: «فإن كان هذا فإن المراد بالمعنى الشيء الذي يفيد اللفظ»²¹. وميز علماء الدلالة المحدثون بين جملة من المعاني، فهناك:²²

أ- المعنى الأساسي: ويسمى أيضا المعنى المركزي، وهو الحامل للتصور، وهو الذي يمثل الوظيفة الحقيقية للغة، وهي نقل الأفكار²³. فالفرد لا يستطيع أن يخزن في ذهنه جميع مفردات اللغة، كما أنه لا يستطيع معرفة جميع صور التغير الدلالي التي طرأت على معنى الكلمة. نقرأ قول زهير بن أبي سلمى:²⁴

شَجَّ السُّقَاةُ، عَلَى نَاجُودِهَا، شَبًّا مِنْ مَاءٍ لَيْنَةٍ، لَا طَرَقًا، وَلَا زَنْقًا

مَازَلْتُ أَرْمُقُهُمْ، حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ، مِنْ رَاكِسٍ، فَلَقَا

نقرأ القول فيتبين أن معنى هذين البيتين غير جلي نتيجة غموض بعض المفردات وانقراض بعضها الآخر؛ ووظيفة المعجم تحديد دلالة الكلمات، كي يصبح إدراك المعنى العام أمرا ميسورا. ومعنى البيت الأول شَجَّ السُّقَاةُ؛ أي: صَبُّوا على الخمر هذا الماء البارد، وَعَلَوْهَا به؛ أي: مزجوها بالماء، فَرَّقَتْ وَعَدَّ بَت، وكانوا لا يكادون يشربونها صِرْفًا لشدتها وفضاعتها عندهم، وفي البيت الثاني رجوع إلى وصف الخليط الذي فارقه.

ب- المعنى الدلالي: قد تشحن المفردات داخل بنية النص والخطاب أو في عملية الحوار بفيض دلالي يعجز المعجم عن إبانته والإفصاح عنه، فيتكفل السياق بأمر الإبانة، فقلوه تعالى: "ذق إنك أنت العزيز الحكيم"²⁵، يدل السياق على أنه الدليل الحقيق، وهذا المعنى لا أثر له في المعجم. وفي ذلك تأكيد أن للسياق دورا كبيرا في إبعاد كثير من المعاني الجزئية، وبواسطته تعطى الكلمة معاني مختلفة لا يمكن للمعجم أن يدركها، وفي هذا الشأن يقول تمام حسان: "والمعنى معجمي في الكلمة المفردة، أما حين تدخل في السياق فإن معناها لا يسمى معجميا؛ نظرا إلى أن السياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية والمقالية التي تعطي الكلمة من المعاني ما لا يرد على صاحب المعجم"²⁶.

ج- المعنى الأسلوبي: هو المعنى الذي تعكسه أنماط الأساليب المختلفة كالصحافة، والقانون، والأدب، فقد يكون الأسلوب "أديبا أو رسميا أو عاميا أو مبتذلا"، وقد ينتمي إلى لغة الشعر أو النثر أو الإعلان، ومثال هذا: الكلمات التي تدل على معنى الأبوة؛ والتي تعكس أيضا الطبقة التي ينتمي إليها المتكلم، مثل: داد: في لغة الأرستقراطيين والمتفرنجين. الوالد-والدي: أدبي فصيح بابا: عامي راق. أبويا-أبا-: عامي مبتذل²⁷.

د- المعنى العقلي: يراد به مراعاة الجانب العقلي من المعنى، وهو الجانب الذي يمكن تحليله إلى عدد من العناصر التكوينية أو المكونات العقلية المتميزة، التي تحدّد في ضوئها كافة العلاقات الدلالية القائمة بين الوحدات المعجمية، أو بين الجمل، ويعدّ المعنى العقلي العامل الأساس في عملية الاتصال اللغوي²⁸.

هـ- المعنى الإضافي: ويسمّى أيضا المعنى الثانوي والعرضي والتضميني، وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه، إلى جانب معناه التصوري الخالص؛ فكلمة "يهودي" لها معنى أساسي هو الانتماء الشخصي إلى الديانة اليهودية، ولها معان إضافية في عقول الناس تتمثل في: الطمع والبخل والمكر والخديعة²⁹.

و- المعنى البعيد: هو المعنى الناشئ عن ازدواج المعنى العقلي في الكلمة الواحدة إذ تثير إحدى دلالاتي الكلمة الدلالة الأخرى التي يمكنها أن تعبّر عنها أو تشير إليها، وهي المراد في أغلب الأحيان³⁰؛ بمعنى أن هناك أنواعا من الكلمات تحمل معاني قريبة من الذهن وأخرى بعيدة عنه، وقد يكون المعنى البعيد هو المراد، كالذي يسمّيه علماء البلاغة تورية.

ز- المعنى الارتباطي: ينشأ عن ارتباط الوحدة اللسانية التواصلية بسلسلة أخرى تشترك معها في خصائص بعينها، والارتباط متحقق عند الاتصال بالحقل الدلالي وبالدلالة المعجمية³¹، فلفظ إنسان مفهوم عام يتضمن مفاهيم صغرى (الرأس، الصدر، البطن، اليد، الرجل).

ح- المعنى النفسي: وهو معنى فردي ذاتي، لا يتميز بالعمومية ولا التداول بين الأفراد³²، ويتجلى هذا النوع من خلال الأحاديث العادية، أو من خلال الأعمال الأدبية التي تنضج بالمعاني الذاتية، ونستشعر ذلك من الألفاظ والمفاهيم، وغير ذلك. وللمعنى النفسي عند بيار غيرو **Pierre Guiraud** قضايا تجسده³³:

* **قضية نفسية:** لماذا وكيف نتواصل؟ ما الإشارة؟ وماذا يجري في ذهننا وفي ذهن من نخاطبه حين نتواصل؟ وما الوظيفة النفسية لهذه العملية؟... إلخ.

* **قضية منطقية:** ما علاقة الإشارة مع الواقع؟ ضمن أي شروط تطبق الإشارة على موضوع أو على حالة من خصائص وظيفتها أن تعني؟ ثمّ ما القواعد التي تضمن اتصالا حقيقيا؟... إلخ

* **قضية لسانية:** هي بالأحرى مجموعة من القضايا، والسبب أنّ لكل نظام من الإشارات قواعده الخاصة التي تتعلق بطبيعته ووظيفته.

ط- المعنى الإيحائي: متعلق بتلك الكلمات التي تمتلك مقدرة خاصة على الإيحاء، وقد حصر ستيفن أولمان تأثيرات هذا النوع في ثلاثة أمور³⁴:

- **التأثير الصوتي:** وقد يكون مباشرا، كما لو كانت الكلمة تدل على بعض الأصوات أو الضجيج الذي يحاكيه التركيب الصوتي للاسم، ويُمثّل له ب: صليل (السيوف)، مواء (القطّة)، ونحو ذلك. وقد يكون غير مباشر مثل القيمة الرمزية للكسرة التي ترتبط في أذهان الناس بالصغر أو الأشياء الصغيرة.

- **التأثير الصرفي:** ويتعلق بالكلمات المركبة والكلمات المنحوتة، كالكلمة العربية "صهلق" من "سهل وصلق".

- **التأثير الدلالي:** وهذا النوع من التأثيرات متعلق بالمجاز، ويلحق بهذا النوع ما يطلق عليه المعنى الانعكاسي، الذي يحضر بصورة أكبر في الكلمات ذات المعاني المكروهة أو المحظورة مثل الكلمات المرتبطة بالجنس والموت. وفي أمثال هذه الحالات ينبغي استعمال التلطيف في التعبير الذي هو عملية الإشارة إلى شيء مكروه أو معنى غير مستحب بطريقة تجعله أكثر قبولا .

وذكر ستيفن أولمان أنواعا أخرى للمعنى هي: المعنى البسيط، والمتعدد، والعاطفي. أما المعنى البسيط فهو الذي يتكون من لفظ واحد ومدلول واحد، ويستخدم في المواقف البسيطة، أما المعنى المتعدد يتحقق في صورتين اثنتين:³⁵

* ارتباط عدد من الألفاظ بمدلول واحد: ويقصد الترادف **Synonymie**.

* ارتباط مدلولات عدة بلفظ واحد: ويقصد تعدد المعنى **Polysémie**، والمشارك اللفظي

.Homonymie

في حين ينشأ المعنى العاطفي عن اللغة التي تثير العواطف والمشاعر والانفعالات في السلوك الإنساني، وقد تتعدد مصادر العنصر العاطفي في معنى الكلمة، فأحيانا يكون المعنى بطبيعته مثيرا للشعور والإحساسات القوية، من ذلك الكلمات التي تدل على القيم الأخلاقية نحو: حرية، عدل، والصفات التي تستعمل في المدح أو القبح، وأحيانا أخرى يكون اللفظ نفسه بما له من وقع صوتي معين عاملا من عوامل التأثير العاطفي للمعنى.³⁶

- **مصطلحات الدلالة والعلامة والأمانة لدى أبي هلال العسكري :**

تنبّه علماء العربية في فترة مبكرة من ميراث الحضارة إلى أهمية التفرقة بين المصطلحات التي تتداخل دلالتها وتلتبس على المتلقي، فقد عمد أبو هلال العسكري في مدوّنته اللسانية «الفروق في اللغة» إلى تعريف الدلالة من خلال بيان خاصيتها وما به تتميز عن غيرها من المصطلحات، وغايته من كل ذلك حصر المجال الإجرائي لكل مصطلح وبيان التقاطعات بين الدلالة وما يشبه الدلالة ويلابسها من بعض الوجوه، كالدليل، والشبهة، والأمانة، والعلامة. وفي هذا الشأن قال أبو هلال: "إن الدلالة تكون على أربعة أوجه :

- أحدها ما يمكن أن يُستدل به، قَصَدَ فاعله ذلك أَوْ لم يقصد (أفعال البهائم تدل على حدثها وليس لها قصد إلى ذلك).

- والثاني العبارة عن الدلالة، يُقال للمسئول: «أعدّ دلالتك».

- والثالث الشبهة، يقال: دلالة المخالف كذا؛ أي شبهته.

- و الرابع الأمارات، يقول الفقهاء: الدلالة من القياس كذا»³⁷.

إنّ أدنى تأمل في مقولة أبي هلال يتبعه إدراك أن المعنى الرئيس الذي يجمع الأوجه الأربعة؛ هو أنّ الدلالة سبيلك إلى المعرفة والعلم. وهذا ظاهر في الوجه الأوّل والثاني، وقد يختلط ويلتبس الأمر بالنسبة للبعض في الوجه الثالث والرابع، أما الوجه الثالث وهو الشبهة فهي وإن كانت في نظرنا كذلك فهي في نظر صاحبها دلالة توجب العلم -وإن كان الأمر بخلاف ذلك- وكذلك الأمانة فهي وجه من وجوه الدلالة على سبيل التقريب والملازمة، وإلا فإن هناك فرقا نسبيا بينهما؛ «فالدلالة ما يؤدّي النظر فيه إلى العلم، والأمانة ما يؤدّي النظر فيه إلى غلبة الظن»³⁸.

وأما الفرق بين الدلالة والعلامة فجماع الأمر فيه «أنّ الدلالة على الشيء ما يُمكن كل ناظر فيه أن يستدل بها عليه، كالعالم لما كان دلالة على الخالق كان دالا عليه لكل مُستدلّ به، وعلامة الشيء ما يعرف به المَعْلَم له ومن شاركه في معرفته دون كلّ واحد، كالحجر تجعله علامة لدفين تدفنه، فيكون دلالة لك دون غيرك، ولا يمكن غيرك أن يستدل به عليه إلّا إذا وافقته على ذلك، كالتصفيق تجعله علامة لجيء زيد فلا يكون ذلك دلالة إلّا لمن يوافقك عليه، ثمّ يجوز أن تزيل علامة الشيء بينك وبين صاحبك فتخرج من أن تكون علامة له، ولا يجوز أن تخرج الدلالة على الشيء من أن تكون دلالة عليه، فالعلامة تكون بالوضع والدلالة بالاقتضاء»³⁹.

لقد استطاع أبو هلال العسكري النفاذ بوعي إلى حصر المجال الإجرائي الذي يحيا فيه كل مصطلح، وهو الحصر الذي ينبئ عن وعي علمائنا في التراث بمدى إدراكهم لمضامين الألفاظ مهما التبست واختلطت بغيرها، فالتفرقة بين الدلالة والعلامة تسمح لنا بالوقوف على حقائق الألفاظ، فالدلالة مع ما يلابسها من مصطلحات يجمع بينها جامع من ترادف، أو اشتراك، أو تضاد، أو تقابل فهي تمثّل الإطار الذي تنتزل فيه اللغة من حيث هي جهاز من العلامات يستمد قيمته وشرعيته من الوضع والاصطلاح، ويقوم بقاؤه ووجوده عليها.

بمعنى أن قيمة جهاز العلامات رهين اتفاق أهل اللغة، على أن يكون له قيمة وأن يكون له وجود⁴⁰، ويكفي أن يزيلوا علامة الشيء فيما بينهم حتى "تخرج من أن تكون علامة"، كما أن ليس شرطا في العلامة كثرة الأفراد الذين يعلمونها، فقد يقع الاصطلاح بينك وبين نفسك «كالحجر تجعله علامة لدفين تدفنه فيكون دلالة لك دون غيرك»، فهي إذن فعل اتفاقي تواضعي، في حين تعدّ الدلالة فعلا اقتضائيا.

- التقسيم الدلالي لدى العرب:

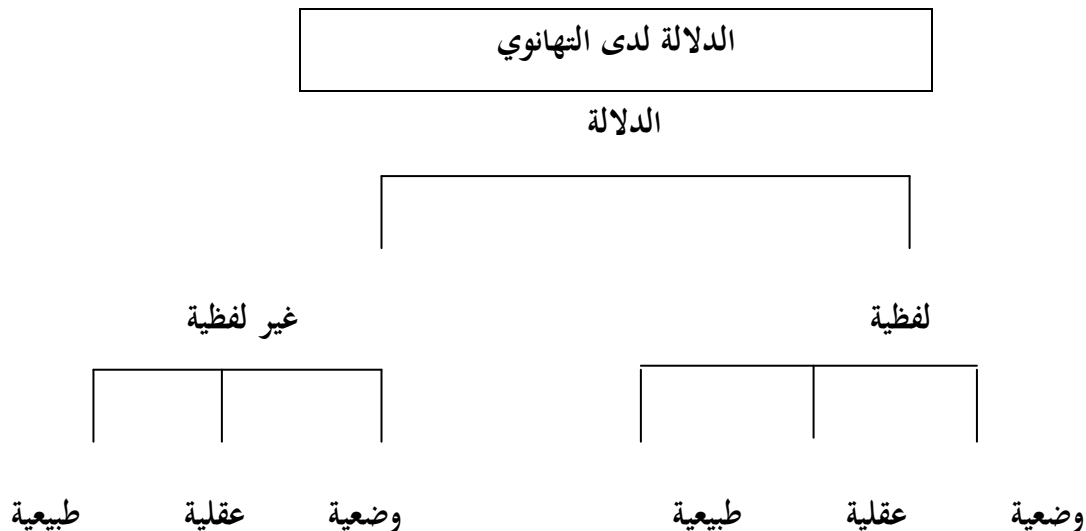
جاء في كشّاف اصطلاحات الفنون أنّ الدلالة تنقسم إلى لفظية وغير لفظية، فالدال إن كان لفظا فالدلالة لفظية، وإن كان غير لفظ فالدلالة غير لفظية، وكل واحدة من اللفظية وغير اللفظية تنقسم إلى عقلية وطبيعية ووضعية⁴¹، والدلالة التي تعنينا في المقام الأوّل هي الدلالة اللفظية بتقسيماتها؛ لأنّ النص المتعامل معه في التراث - وأقصد بذلك النص القرآني - يعد نصا ملفوظا في الدرجة الأولى، كما أنّ التواصل في الغالب يتحقق بعلامات منطوقة، ومعظم المشاكل تقع من طريقها، ثمّ إنّ البحث عند الفلاسفة المتقدمين والأصوليين واللغويين عموما ينحصر في تمثيلها، ذلك لتعدد الاحتمالات فيها.

فالدلالة اللفظية العقلية هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه، والمقصود كونها علاقة ذاتية استلزام تحقق الدال في نفس الأمر تحقق المدلول فيها باستلزام المعلول للعللة، كما في دلالة الصوت على حياة صاحبه⁴²، والدلالة اللفظية الطبيعية دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه، كدلالة "أح أح" على وجع الصدر⁴³، والطبع المراد هنا طبع اللفظ، وقد يكون طبع السامع وطبع معنى اللفظ. ويبدو واضحا التقارب أو بالأحرى التداخل بين الدالتين لدى المفكرين العرب، والتمييز بينهما لا يكاد يتركز على أسس متينة، باستثناء أن الدلالة الطبيعية تعتمد على تجربة باطنية ذاتية، خصوصا في العلاقة بين الجسد والنفس، فهي لا تستدعي على الأقل العمل الفكري المطلوب في الدلالة العقلية المعتمدة على الإدراك الخارجي حيث الانتقال من الدال إلى المدلول يحدث بصورة عفوية ومباشرة، وقد أكد التهانوي أنه "لا يقدح في الدلالة الطبيعية وجود دلالة عقلية مستندة إلى علاقة عقلية لجواز اجتماع الدالتين باعتبار العلاقتين"⁴⁴.

أما الدلالة الوضعية فإنها دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة الوضع ينتقل لأجلها منه إليه، ويستفاد من هذا التعريف أنها دلالة يكون للوضع مدخل فيها، بل إن انعقاد الدلالة اللفظية لا يتحقق إلا بمراعاة ثلاثة أمور، اللفظ وهو نوع من الكيفيات المسموعة، والمعنى الذي جعل اللفظ بإزائه، وإضافة عارضة بينهما هي الوضع؛ أي جعل اللفظ بإزاء المعنى، على أن الواضع قال إذا أطلق هذا اللفظ فافهموا هذا المعنى، وتحت هذا القسم من الدلالة يدرج العرب كل الألفاظ دون استثناء، لكنهم يميزون داخله أصنافا تفيد في فهم تركيب العلامة، ويستند تصنيفهم إلى كمية الموضوع والموضوع له وكمية الجانب الملحوظ به كل منهم⁴⁵.

وتجدر الإشارة في هذا الموضوع إلى أن علماء العربية لم يعرفوا تقسيما دلاليا واحدا متفقا عليه، فهناك تقسيمات عدة وأشكال مختلفة تختلف باختلاف ثقافة المؤول والتصورات. يطالعنا الموروث العربي بآراء وتفرعات مختلفة، كتفريع الجرجاني، والإيجي، والشيخ المظفر، وزكريا الأنصاري، وغيرهم. وخروجهم عن المتداول فيما يبدو لعاطف القاضي من حيث المبدأ لا يطال الجوهر، "بل مردّه اعتبارات اقتضتها الميول الشخصية"⁴⁶.

واستثنى عاطف من تلك الجهود محاولة الأنصاري (926هـ) فقد عدّها عدولا حقيقيا عن الإطار العام المعهود عند علماء العربية، فالدلالة في نظر الأنصاري "تنقسم إلى فعلية كدلالة الخط والإشارة، وعقلية كدلالة اللفظ على لافظه، وطبيعية كدلالة الأنين على الوجع، ووضعية وهي كون اللفظ بحيث متى أطلق فهم منه المعنى"⁴⁷. ولعلّ التقسيمات تتضح من خلال المشجرين الآتيين:



الخط الإشارة دلالة اللفظ دلالة الأنين جعل اللفظ
على اللافظ على الوجد يازاء المعنى

وخلص الباحث إلى أن اللغوي العربي قد تمكن باقتدار من سبر المصطلحات ومن الإبانة عن ما تحمله من حمولة دلالية تُجَلِّي لنا وعي العقل العربي عند تعامله مع مختلف القضايا المعرفية.

الهوامش:

1 ينظر: ابن رجب، بيان فضل علم السلف على علم الخلف، حق: محمد بن ناصر العجمي، دار الصمعي للنشر، الرياض، ط2، 1406هـ، ص55.

2 الشهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحرج، تقلد وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان، ط1، سنة 1996، بيروت، 788/1.

3 الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط 2010، 70/1-71.

4 المصدر نفسه، 72/1-73.

5 Charles Senders Peirce, *Ecrits sur le signe*, Ed Seuil, 1978, P32.

6 ينظر سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن 2003، الدار البيضاء، ص 65.

- 7 عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة، ص 38.
- 8 المصدر نفسه، ص 38.
- 9 ينظر دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر عبد القادر قنيني، ص 86.
- 10 سيف الدين الآمدي، اصطلاحات الفلاسفة، ص 18.
- 11 ينظر: سيزا قاسم -نصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، دار إلياس العصرية 1986، القاهرة، ص 19.
- 12 عمر بن سهلان، البصائر النصيرية، ط بولاق، سنة 1316هـ 1898، مصر، ص 4.
- 13 ينظر ابن سينا، النجاة، ص 103. و ينظر أيضا: عمر بن سهلان، البصائر النصيرية، ص 471.
- 14 "المتضاديات عبارة عن ماهيتين تعقل كل واحدة منها لا يتم إلا مع تعقل الأخرى، كالأبوة والبنوة." عمار طالبي، اصطلاحات الفلاسفة، ص 68.
- 15 ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1998، الدار البيضاء، ص 88.
- 16 المصدر نفسه، ص 88-89.
- 17 ينظر: المصدر نفسه، ص: 99-100.
- 18 محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإعلام، الكويت، 497/2 - 498. وينظر أيضا: التعريفات، شريف الجرجاني، الدار التونسية، 1971، ص 116.
- 19 ينظر ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية و مسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار مكتبة المعارف، ط 1، سنة 1414 هـ - 1993م، بيروت، ص 198-199.
- 20 المصدر نفسه، ص 198-199.
- 21 المصدر نفسه، ص 198-199.
- 22 ينظر: هويدي شعبان هويدي، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، دار الثقافة العربية، 1993، مصر، ص 114...
- 23 ينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة دراسة وتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 40.
- 24 زهير بن أبي سلمى، الديوان، تح: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط 3، 1980، بيروت، ص 65.
- 25 سورة الدخان، الآية: 49.
- 26 تمام حسان، اللغة العربية مبنائها ومعناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 1985، القاهرة ص 24.
- 27 ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط 1998، القاهرة، ص 38.
- 28 ينظر: هويدي شعبان هويدي، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ص 116. وينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، ط 2، 1979 الكويت، ص 233.
- 29 ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط 1998، القاهرة، ص 37.
- 30 ينظر: هويدي شعبان هويدي، علم الدلالة، ص 118.
- 31 ينظر: المرجع نفسه، ص 119.
- 32 ينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة، ص 40.
- 33 بيار غيرو، علم الدلالة، تر: منذر عياشي، دار طلاس، ط 1992، سورية، ص 17.
- 34 ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط 1988، مصر، ص 83-84. وينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 39.
- 35 ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 109-126.
- 36 ينظر المرجع نفسه، ص 103-104.
- 37 أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، ط 1، سنة 1422 هـ 2002م، بيروت، ص 95.
- 38 المصدر نفسه، ص 96. وينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة دراسة وتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 26.

- 39 المصدر نفسه، ص 98-99 .
- 40 نور الهدى لوشن، علم الدلالة دراسة وتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 26.
- 41 التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحرج، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، 788/1.
- 42 المصدر نفسه، 788/1.
- 43 السبكيان: تقي الدين وتاج الدين، الإيجاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، ط 1، سنة 1404هـ، بيروت 204/1.
- 44 التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، 789/1. وينظر أقسام العلامة، عادل فاحوري، مجلة الكر العربي المعاصر، العدد الثاني -حزيران 1980، لبنان، ص 93.
- 45 ينظر عادل فاحوري، علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة، دار الطليعة، ط 02 سنة 1994، بيروت، ص 16.
- 46 عاطف القاضي، الدلالة عند الأنصاري، الفكر العربي المعاصر، العدد 25، سنة 1983، لبنان، ص 105.
- 47 الأنصاري، شرح إيساغوجي، ص 10-11. وكذلك عاطف القاضي، الدلالة عند الأنصاري، ص 105.